موسوعة
شروح الموطأ

للإمام مالك بن أنس
المتوفى سنة ١٧٩هـ

التمهيد والاستذكار
لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر
المتوفى سنة ٤٦٣ هـ

القبس
لأبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي المالكي
المتوفى سنة ٥٤٣هـ

تحقيق
الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي
بالتعاون مع
مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية

الدكتور / عبد السند حسن يمامة

الجزء الأول

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

القاهرة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م

موسوعة

شروح الموطأ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء : ١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب : ٧٠، ٧١] .

أما بعد :

فإن حديث رسول الله ﷺ قد حظى بقدر كبير من العناية والاهتمام من لدن عهد الصحابة ثم التابعين فتابعيهم حتى يومنا هذا ، إذ هو بيان الكتاب العزيز ، والمصدر الثانى من مصادر التشريع ، فتلقاه الصحابة بقلوبهم ، وحفظوه إلى جانب كتاب الله فى صدورهم ، وأصلحوا به شأن دنياهم ودينهم ، ومع دخول الناس فى دين الله أفواجًا وانتشار دعوة الإسلام قام الصحابة رضوان الله عليهم دعاة به تحديثًا وتبليغًا ، وتبعهم فى ذلك كبار التابعين .

وقد بدأ تدوين حديث النبي ﷺ مع مطلع المائة الثانية من الهجرة ؛ وهذا لا يعنى أن حديث رسول الله ﷺ لم يُدون مطلقًا قبل ذلك ، بل كان هناك من دوّن حديث رسول الله ﷺ ؛ كعبد الله بن عمرو فى صحيفته المسماة بـ « الصادقة » ، وصحيفة أبى هريرة التى كتبها عنه همام بن منبه وعرفت بـ « صحيفة همام » ، اللتين تضمنهما « مسند الإمام أحمد »[1] ، ولكنهما لم تكونا مدونتين فى جوامع أو مرتبتين ترتيبًا معينًا ، وقد أشار إلى ذلك الحافظ ابن حجر ، حيث قال : « اعلم ، علمنى الله وإياك ، أن آثار النبى ﷺ لم تكن فى عصر أصحابه وكبار تبعهم مدونة فى الجوامع ولا مرتبة لأمرين ؛ أحدهما : أنهم كانوا فى ابتداء الحال قد نهوا عن ذلك كما ثبت فى « صحيح مسلم »[2] خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن العظيم . وثانيهما : لسعة حفظهم وسيلان أذهانهم ، ولأن أكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة »[3] .

وظل هذا الأمر هكذا حتى أظل الأمة زمن الخليفة الراشد والإمام العادل عمر بن عبد العزيز ، وكانت الدولة الإسلامية قد اتسعت رقعتها ، ونشأت الفرق المبتدعة ، ودخل فى الإسلام العرب والعجم على تعدد لهجاتهم واختلاف ألسنتهم ، وتناقلوا حديث النبى ﷺ ، فقلَّ الضبط وكثر الخطأ فى الرواية ، ومست الحاجة إلى تدوين الحديث وتقييده بالكتابة ، فأمر عمر بن عبد العزيز بتدوين حديث رسول الله ﷺ ، وكان أول من استجاب له ابن شهاب الزهرى ، فدوَّن فى ذلك كتابًا ، ثم فشا أمر التدوين فى الطبقة التى تلته ، وكان على رأس مَنْ دوَّن ابن جريج فى مكة ، وسعيد بن أبى عروبة وحماد بن سلمة فى البصرة ،

---

(١) المسند ١١/٢٤٠ - ٣٨٧ (٦٦٥٩ - ٦٧٧٢) ١٣/٤٧٤ - ٥٤٧ (٨١١٣ - ٨٢٥٢) .

(٢) صحيح مسلم (٣٠٠٤) .

(٣) هدى الساري ص٦ .

وسفيان الثورى فى الكوفة ، وابن إسحاق والإمام مالك فى المدينة ، وغيرهم .

والتفَّ حولهم طلبة العلم ، وأخذوا عنهم الحديث ، وحفظوه دراية ورواية ، وشددوا في الضبط ، ودققوا فى المرويات ، عليهم جميعًا ومن سار على هديهم وابل الرحمات .

إن الإمام مالكًا - رحمه اللَّه - كان أشهر مَنْ دوَّن حديث النبى ﷺ فى عصره ، ومُوَطَّؤُه أقدم مصنف مسند إلى رسول اللَّه ﷺ ، ولم يكن الغرض الذى قصده الإمام مالك من جمع «الموطأ» والباعث الذى بعثه إليه مجرد تدوين طائفة من الأحاديث التى صحت عنده ، بل كان الغرض منه جمع الفقه المدنى ، فهو كتاب فقه وحديث ، يظهر ذلك من مسلكه فى جمعه ؛ حيث يذكر الأحاديث فى الموضوع الفقهى الذى اجتهد فيه ، ثم عملَ أهل المدينة المجمع عليه ، ثم رأىَ من التقى بهم من التابعين وأهل الفقه والرأى المشهورين فى المدينة ، ويجتهد على ضوء ما يعلم من الأحاديث والفتاوى والأقضية ، ويدوّن رأيه فى ذلك ، فكان يهتم ويتحرى فى انتقاء الأحاديث دراية ورواية ؛ ولذلك كانت أحاديثه منتقاة ، وقد عد أهل الفن كل ما فى « الموطأ » من الحديث صحيحًا إلا قليلًا ، قال ابن عبد البر : « إن مالكًا كان من أشد الناس تركًا لشذوذ العلم وأشدهم انتقادًا للرجال وأقلهم تكلفًا وأتقنهم حفظًا ولذلك صار إمامًا » . وإلى جوار ذلك كله كان مهتمًا أشد الاهتمام بالجانب الفقهى كما سبقت الإشارة .

ولقد وصف فقهه فى « الموطأ » حيث قال : « أما أكثر ما فى الكتب فرأى فلعمرى ما هو برأيى ، ولكن سماع من غير واحد من أهل العلم والفضل والأئمة المقتدى بهم الذين أخذت عنهم ، وهم الذين كانوا يتقون الله ، وكثر على فقلت : « رأيى » . وذلك رأيى إذ كان رأيهم مثل رأى الصحابة ، أدركوهم

عليه ، وأدركتهم أنا على ذلك ، فهذا وراثة توارثوها قرنا عن قرن إلى زماننا »[1] .

لقد كان مالك أمير المؤمنين فى الحديث ، وإمامًا من أئمة الفقه ، وضرب له طلاب العلم من المشرق والمغرب أكباد الإبل ، وكان النجم الذى تتجه إليه الهمم والأبصار والرحلة من سائر الأمصار ، وكثر أتباعه وتلاميذه ، وانتشر مذهبه فى الكثير من الأقطار .

وقد اعتنى كثير من المالكية فيما مضى من الزمن بـ « الموطأ » شرحًا وتفسيرًا ، وتوضيحًا لما غمض فيه من معان وغريب ألفاظ ، عناية فائقة ، وفى العصر الحديث ومع النهضة العلمية ، والاهتمام بالتراث الإسلامى وتحقيقه وتوثيقه ، لم ينل « الموطأ » وغيره من آثار الإمام مالك من العناية ما نالته آثار غيره ، وهذا هو الدافع إلى هذا العمل ، الذى قصد من خلاله خدمة هذا الأثر العظيم الذى يعتبر من أنفس ما صنف فى علم الحديث ، ولا تخفى بين أهل العلم على اختلاف مذاهبهم أهمية هذا المصنف وموضعه من الاشتهار والصحة ، وأضيف إلى تحقيق نص الكتاب شرحاه كتابا « التمهيد » و« الاستذكار » للحافظ ابن عبد البر ؛ إذ هما أفضل ما صُنِّفَ فى شرح « الموطأ » ، أشار إلى ذلك الحافظ ابن كثير حيث قال : « وقد اعتنى الناس بكتابه (يعنى الموطأ) وعلقوا عليه كتبًا جمة ، ومن أجود ذلك كتابا التمهيد والاستذكار »[2] .

لقد جمع فيهما ابن عبد البر - رحمه الله - ما روى عن مالك برواية يحيى بن يحيى ليرى الناظر فيهما موقع آثار « الموطأ » من الاشتهار والصحة ، معتمدًا فى ذلك على نقل الأئمة وما رواه ثقات الأمة ، وذكر فيهما من معانى الآثار وأحكامها والمقصود بظاهر الخطاب ما عول على مثله الفقهاء أولو

---

(١) ترتيب المدارك ٢/٧٤ .

(٢) الباعث الحثيث ص٢٥ .

الألباب ، وأتى من الشواهد على المعانى والإسناد ما حضره من الأثر ذكرُه، وصحبه حفظه ، مما تعظم به فائدتهما ، وشرح فيهما ما استعجم من الألفاظ ، وأومأ فيهما إلى ذكر بعض أحوال الرواة وأنسابهم ومنازلهم .

فكانا شرحين وافيين لجميع ما فى « الموطأ » من الأحاديث والآثار . وأضيف إليهما إتمامًا للفائدة كتاب « القبس » لابن العربى ؛ حيث اشتمل على جملة من الأحكام التى استنبطها ابن العربى من خلال تعليقه على « الموطأ » ، كما اشتمل على فوائد غزيرة من فنون مختلفة ، كالحديث والفقه واللغة والأصول ، فجعل تتميمًا لعمل ابن عبد البر وشرحه ، وإضافة فائدة لهذا العمل .

إن إخراج هذه الموسوعة العلمية المتميزة إخراجًا يتحرى الدقة والتوثيق ، مما يخدم طلاب العلم ، استدعى جهودًا متتابعة ، ووقتًا طويلًا ، ولا يعرف المعاناة التى يتطلبها إصدار هذه الموسوعات إلا من خاض غمارها .

ويسرنى أن أشكر مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية على جهوده ، وأخص القائم عليه الأخ الأستاذ الدكتور عبد السند حسن يمامة ، الذى يبذل من جهده وإمكاناته ما يخدم دينه وأمته ، كما أشكر الباحثين فيه الذين بذلوا جهدًا موفقًا وتعاونوا تعاونًا كريمًا فى هذا العمل العلمى المتميز ، وقد كان دأب هذا المركز المبارك والعاملين فيه العمل الجاد لخدمة الكتاب والسنة ، وتحقيق كتب أهل العلم الأمهات ، فجزى اللَّه الجميع على ما قاموا به ، ونسأله سبحانه أن يجعل العمل خالصًا لوجهه ، محقِّقًا لما أريد منه من خدمة ديننا وطلاب العلم فى أمتنا ،

والحمد للَّه الذى هدى إلى هذا ووفق إليه ، ونسأله أن يتقبل منا الجهد ويعفو عن التقصير ، وصلى اللَّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه وسلم تسليمًا كثيرًا .

وكتبه

عبد اللَّه بن عبد المحسن التركى

ترجمة الإمام مالك

الإمام مالك[1]

نسبه :

هو إمام دار الهجرة ، أبو عبد اللَّه مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر بن عمرو بن الحارث بن غَيْمَانَ بن خُثَيْلِ[2] بن عمرو بن الحارث ، وهو ذو أصبح بن عوف بن مالك بن زيد بن شداد بن زرعة ، وهو حمير الأصغر ، الحميرىُّ ، ثم الأصبحىُّ ، المدنىُّ ، حليف بنى تيم من قريش ، فهم حلفاء عثمان أخى طلحة بن عبيد اللَّه أحد العشرة المبشرين .

قال القاضى عياض : « لم يختلف العلماء بالسير والخبر والنسب فى نسب مالك هذا واتصاله بذى أصبح ، إلا ما ذكر عن ابن إسحاق وبعضهم ، من أنه مولى لبنى تيم »[3] . ثم قال : « وأما مَنْ زعم أنه مولى تيم ، فدخل الوهم عليه ؛ إذ وجده ينتمى إليهم ويحسب فى عدادهم بسبب حلفه معهم ، وإلا فنسبه فى ذى أصبح صحيح ، ذكر ذلك غير واحد من زعماء قريش ونُسّابها ، وغيرهم من أهل العلم ... ولم يتابع أحد منهم ابن

---

(١) ترجمته فى : التاريخ الكبير ٣١٠/٧، والمعارف لابن قتيبة ٤٩٨، ٤٩٩، والحلية ٣١٦/٦-٣٥٥، والانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ٢- ٦٣، وترتيب المدارك ١٠٤/١ - ٢٢٥/٢، ووفيات الأعيان ١٣٥/٤- ١٣٩، وتهذيب الكمال ٩١/٢٧- ١٢٠، وسير أعلام النبلاء ٤٣/٨- ١٢١، وتذكرة الحفاظ ٢٠٧/١ - ٢١٣، والبداية والنهاية ٥٩٩/١٣- ٦١٠، والديباج المذهب ٨٢/١ - ١٣٩ وغيرهم ، وأفرد له ابن عبد البر فصلا مستقلا من مقدمته للتمهيد بعنوان عيون من أخبار مالك وفضل موطئه ، ينظر ص ٣٦٠- ٣٩٩. كما أفرده بدراسة مستقلة الشيخ : محمد أبو زهرة وغيره .

(٢) ينظر ص ٣٩٦ .

(٣) ترتيب المدارك ١٠٦/١ ، ١٠٧ .

إسحاق على قوله ممن جاء بعده ، بل بينوا وجه وهمه »[1] .

وقال أبو مصعب[2] : « مالك من العرب صليبة ، وحلفه فى قريش فى بنى تيم بن مرة » .

وأم مالك هى العالية - وقيل : الغالية - بنت شريك الأزدية . وقيل : طليحة مولاة عبيد الله بن معمر . وقيل غيره .

ذكر آل بيته وبنيه :

ومما يتصل بالحديث عن نسبه ، الحديث عن أهل بيته ، ذكر القاضى بكر بن العلاء القشيرى[3] أن أبا عامر بن عمرو جد أبى مالك رحمه الله ، من أصحاب رسول اللّه ﷺ ، قال : « وشهد المغازى كلها مع النبى ﷺ خلا بدرًا » .

وابنه مالك جدُّ مالكٍ ، وكنيته أبو أنس ، من كبار التابعين ، ذكر ذلك غير واحد ، يروى عن عمر ، وطلحة ، وعائشة ، وأبى هريرة ، وحسان بن ثابت ، وكان من أفاضل الناس وعلمائهم ، وهو أحد الأربعة الذين حملوا عثمان ليلًا إلى قبره وغسلوه ودفنوه ، وكان خِدنًا لطلحة ، يروى عنه بنوه أنس ، وأبو سهيل نافع ، والربيع . مات سنة ثنتى عشرة ومائة .

وأما أبوه فقد كان مُقْعدًا يتكسب من صناعة النّبل ، وكان له قَصْرٌ بالجُرْف يعرف بقصر المُقْعَد .

---

(١) المصدر السابق ١/١٠٧ ، ١٠٨ .

(٢) ترتيب المدارك ١/١٠٨ .

(٣) ترتيب المدارك ١/١١٢ ، ١١٣ .

وأما أعمام مالك فهم : نافع أبو سهيل ، روى عنه مالك . والثانى : أويس ، وهو جدُّ أبى أويس إسماعيل وأبى بكر . والثالث : الربيع . وقد روى أربعتهم عن أبيهم مالك بن أبى عامر .

وأما أبناؤه ، فقال ابن عبد البر[1] : « كان لمالك أربعة من البنين ؛ يحيى ، ومحمد ، وحمَّادة ، وأم ابنها . وقيل : أم البهاء » .

قال الزبيرىّ : « كانت لمالك ابنة تحفظ علمه ، يعنى الموطأ ، وكانت تقف خلف الباب ، فإذا غلط القارئ نقرت الباب ، فيفطن مالك فيرد عليه »[2] .

وقال ابن شعبان : « يحيى بن مالك يروى عن أبيه نسخة . وذكر أنه روى الموطأ عنه باليمن ، وروى عنه محمد بن مسلمة . وابنه محمد قدم مصر ، وكُتب عنه ، وحدث عنه الحارث بن مسكين ، وزيد بن بشر »[3] .

مولده ونشأته :

اختلفت الروايات فى سنة مولده ؛ ويدور مجملها مابين سنة تسعين إلى سنة ثمان وتسعين من الهجرة ، ولكن الأشهر قول يحيى بن بكير أن مولده سنة ثلاث وتسعين من الهجرة ، فى خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان . وهو المروى عن مالك نفسه ، فقد قال يحيى بن بكير : « سمعته يقول : ولدت سنة ثلاث وتسعين »[4] .

---

(١) سيأتى ص٣٩٣ .

(٢) ترتيب المدارك ١/١١٦ ، ١١٧ .

(٣) ترتيب المدارك ١/١١٥ .

(٤) تذكرة الحفاظ ١/٢١٢ .

قال ابن بكير : « كان مولد مالك بذى المروة ، وكان أخوه النضر يبيع البز ، فكان مالك معه بزّازًا ، ثم طلب العلم ، وكان ينزل أولًا بالعقيق ، ثم نزل إلى المدينة »[1] .

وقد نشأ مالك فى بيت اشتغل بعلم الأثر ، وفى بيئة كلها للأثر والحديث . وقد قدمنا ذكر شيء عن جد مالك وأعمامه ، ويظهر أن أكثرهم عناية بالرواية عمه نافع المكنى بأبى سهيل ، ولذا عُدَّ من شيوخ ابن شهاب ، وإن كان مقاربًا له فى السن . ويظهر أن أنسًا أبا مالك لم يكن اشتغاله بالحديث كثيرًا ، فلم يعرف أن مالكًا روى عنه ، ولو كان له شأن فيه لكان أول مَنْ يروى عنه من العلماء[2] .

ومهما يكن حال أبيه من العلم ففى أعمامه وجده غناء ، ويكفى مقامهم فى العلم لتكون الأسرة من الأسر المشهورة بالعلم . ولقد اتجه من قبل مالك من إخوته أخوه النضر ، فقد كان ملازمًا للعلماء يتلقى عنهم ويأخذ عنهم ، حتى إن مالكًا كان يعرف بأخى النضر ؛ لشهرة أخيه دونه ، فلما ذاع

---

(١) ترتيب المدارك ١/١٢٤ .

(٢) ذكر أبو نعيم فى الحلية (٦/٣٤٠) بسنده إلى محمد بن روح القشيرى ، ثنا يونس بن هارون الأزدى ، ثنا مالك بن أنس ، عن أبيه ، عن جده ، عن عمر بن الخطاب ، عن النبى ﷺ قال : « ثلاث يفرح بهن البَدَنُ ، ويربو عليهن : الطِّيب ، والثوب اللين ، وشرب العسل » . ثم قال : غريب من حديث مالك عن أبيه ، تفرد به القشيرى . وقال ابن حبان فى ترجمة يونس بن هارون : شيخ يروى عن مالك العجائب ، لا تحل الرواية عنه ولا الاحتجاج به بحال من الأحوال ، روى عن مالك ، عن أبيه ، عن جده ، عن عمر بن الخطاب ، عن النبى ﷺ . وذكر الحديث ، ثم قال : ما روى مالك عن أبيه ولا جده شيئًا . المجروحين ٣/١٤٠، ١٤١.

أمره بين شيوخه صار أشهر من أخيه ، وصار يذكر النضر بأنه أخو مالك .

ولا شك أن الناشئ تتغذى مواهبه ومنازعه من منزع بيته وما يتجه إليه .

أما البيئة العامة للبلد الذى عاش فيه فإنها تنمى المواهب ، فلقد كانت بيئته مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومهاجره الذى هاجر إليه ، ومبعث النور ، ولقد نشأ مالك وللمدينة تلك المكانة لم تزايلها ، حتى لقد كان عمر بن عبد العزيز رضى اللّه عنه يكتب إلى الأمصار يعلمهم السنن والفقه ، ويكتب إلى أهل المدينة يسألهم عما مضى ويعمل بما عندهم .

فى ظل هذه البيئة الخاصة وهذه البيئة العامة نشأ مالك فحفظ القرآن فى صدر حياته ، ثم اتجه إلى حفظ الحديث ، وكان لابد لكل طالب علم من ملازمة عالم من بين العلماء وقتًا يتم فيه تحصيله وتكوينه ، وقد جالس مالك العلماء ناشئًا صغيرًا ، ثم انقطع إلى ابن هرمز سبع سنين - وفى رواية : ثمان سنين - لم يخلطه بغيره .

وقد تأثر مالك بملازمته لابن هرمز ، فقد تعلم منه قيمة « لا أدرى » ، وكيف يقول : لا أدرى . فى أكثر ما يسأل عنه إذا كان هو لا يعلمه ، وتعلم منه كذلك اختلاف الناس والرد على أهل الأهواء ، وأورثه هذا الرغبة فى طلب الحقيقة من غير تكلف لمراء أو جدال .

ثم اتجه مالك إلى الأخذ من الينابيع الأخرى ، وقد وجد بغيته فى نافع مولى ابن عمر ، فجالسه وأخذ عنه علمًا كثيرًا .

وقال مصعب : « كان مالك يقود نافعًا من منزله إلى المسجد ، وكان

قد كُفّ بصره ، فيسأله فيحدثه ، وكان منزل نافع بناحية البقيع »[1] .

وقد اشتهر أن أصح الأسانيد : مالك عن نافع عن ابن عمر .

كما أخذ مالك عن ابن شهاب الزهرى ، وكان مالك حريصًا على الانتفاع من رواية الزهرى إلى الحد الذى يجعله يذهب إلى بيته فى يوم عيد ، فيجلس على بابه ؛ لظنه أن هذا اليوم يخلو فيه ابن شهاب ، وما أدخله ابن شهاب فى يوم عيد إلا لما رأى من حرصه على العلم وقوة حافظته ، حتى إنه يعيد عليه أربعين حديثًا ، وفى المجلس ربيعة الرأى ، ما يعيدها أحد غيره ، فيقول الزهرى : « ما كنت أرى أنه بقى من يحفظ هذا غيرى » .

وإذا كان مالك لم يدخر جهدًا فى طلب العلم فهو أيضًا لم يدخر فى سبيله مالًا ، حتى ليروى أنه نقض سقف بيته فباع خشبه ، وذلك من أجل العلم ومن أجل ملازمة أكابر العلماء .

نبوغه العلمى وتصدره للفتوى والتعليم :

ظل مالك يجدّ فى طلب العلم ، ويحرص على لقاء العلماء ،على نحو ما ذكرنا ، إلى السنة التى استحق فيها أن يجلس للإقراء ويتصدر للفتيا ، فاتخذ له مجلسًا فى المسجد النبوى للدرس والإفتاء ، ولا شك أن الذى يجلس فى مجلس التابعين وتابعيهم لابد أن يكون على حظ كبير من العلم ، وفى حال من الاحترام تسمح له بأن يكون مقصد طلاب الفقه المستفتين ، وموضع ثقتهم ، ويكون لكلامه مكان من الاعتبار . ولقد قال مالك رحمه الله : « ليس كل من أحب أن يجلس فى المسجد للحديث والفتيا جلس ،

---

(١) ترتيب المدارك ١٣٢/١ .

حتى يشاور فيه أهل الصلاح والفضل ، وأهل الجهة من المسجد ، فإن رأوه لذلك أهلًا جلس ، وما جلست حتى شهد لى سبعون شيخًا من أهل العلم أنى موضع لذلك »[1] .

قال ابن وهب : « وجاء رجل يسأل مالكًا عن مسألة ، فبادر ابن القاسم فأفتاه ، فأقبل عليه مالك كالمغضب وقال له : جَسَرتَ على أن تفتى يا عبد الرحمن ؟! يكررها عليه ، ما أفتيت حتى سألت : هل أنا للفتيا موضع ؟! فلما سكن غضبه قيل له : من سألت ؟ قال : الزهرى وربيعة الرأى »[1] .

وقيل : إنه جلس للفتيا وهو ابن سبع عشرة سنة .

وكان مجلسه فى المسجد النبوى الشريف ، هو المكان الذى كان يجلس فيه عمر بن الخطاب رضى اللَّه عنه للشورى والحكم والقضاء ، وهو قبل ذلك مكان رسول اللَّه ﷺ الذى كان يجلس فيه فى المسجد . وكذلك كان الشأن فى مسكنه ، فقد كان يسكن دار عبد الله بن مسعود ، ليقتفى بذلك آثار الصالحين فى مجلسه للعلم وفى مسكنه .

تحريه فى العلم والفتيا والحديث وورعه فيه :

يروى عن النبى ﷺ من حديث أبى هريرة أنه قال : « ليضربن الناس أكباد الإبل فى طلب العلم ، فلا يجدون عالمًا أعلم من عالم المدينة »[2] .

وقد قال غير واحد بأنه مالك بن أنس .

فبم بلغ مالك هذه المنزلة ؟!

---

(١) ترتيب المدارك ١٤٢/١ .

(٢) سيأتى تخريجه ص٣٨٩ ، ٣٩٠ .

يروى أن مالكًا لما ذكرت أمامه الموطآت ، وأن غير واحد من العلماء قد صنع موطأً كموطئه قال : « دعوهم ، فلن يبقى إلا ما أريد به وجه الله » . ولعل هذا يفسر لنا جانبًا مما وصل بمالك إلى هذه المنزلة .

قال مروان بن محمد : « كنت أرى مالكًا يقول للرجل يسأله : اذهب حتى أنظر فى أمرك . فقلت : إن الفقه من باله ، وما رفعه اللَّه إلا بالتقوى »[1] .

قال خالد بن خداش : « ودعت مالك بن أنس ، فقلت : أوصنى يا أبا عبد الله . قال : تقوى اللَّه وطلب الحديث من عند أهله » .

وقال مالك : « العلم نور يجعله اللَّه حيث يشاء ، ليس بكثرة الرواية » .

إذن ، فهى تقوى اللَّه وطلب العلم من عند أهله ، فقد كان رحمه اللَّه يعلم أن العلم دين ، فكان ينظر عمن يأخذ دينه ، ولا يحدث عن كل أحد أو بكل ما سمع .

ولأن مالكًا يعلم هذا من أمر العلم ، وأن العلماء ورثة الأنبياء ، فقد كان يتحرى تحريًا عظيمًا عند التحمل وعند الأداء ، فكان يروى عنه أنه يُسأل فى العدد الكثير من المسائل فلا يجيب إلا فى القليل ، وأنه يفكر فى المسألة سنين فما يتفق له فيها رأى ، وكان يبكى ويقول : « إنى أخاف أن يكون لى من المسائل يوم ، وأىُّ يوم »[2] .

---

(١) ترتيب المدارك ١/١٨٠ .

(٢) ترتيب المدارك ١/١٧٨ .